سلسلة تفريغات فضيلة الشيخ

٨

شرح مقدمة التفسير

الشيخ

عبد الرحمن بن قاسم

شرح فضيلة الشيخ

د. محمد هشام طاهري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي؛ هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أقول: مرحبًا بطلاب العلم، كما قال معاذ -رضي الله تعالى عنه-، وهو ترحيب رسول الله ﷺ لمحب العلم، ولو لم يكن - لمن يحضر مجالس العلم - إلا أنه ينزع من اللعنة ويخرج إلى الرحمة لكان ذاك كافيًا؛ فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ**

عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»[١]، فنسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجعلنا وإياكم من المتعلمين، وأن يرفع مقامنا حتى نكون من العالمين العاملين.

لا ينبغي لأحدٍ منا أن يركن إلى قوة نفسه، فإن الإنسان لا حول له ولا قوة إلا بالله، وينبغي لطالب العلم وهو يقدم إلى العلم، ويتقدم إلى العلم، ويجتهد في العلم أن يسأل الله -تبارك وتعالى- أن يزيل عنه المعوقات، وأن يزيل عنه الأمور التي تصرفه عن العلم، فكم من طالب علمٍ وجد الصوارف التي صرفته عن العلم.

وإن الإنسان لو يعلم ما لطالب العلم من أجر لما تركه حتى الموت؛ كما قال النبي الكريم ﷺ: «**وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ**»[٢]، إذا كانت الملائكة وهم الكرام البررة حملة الأسفار، المكرمين عند الله المطهرين، إذا كانوا يضعون أجنحتهم لطالب العلم رضًا بما يصنع؛ فهذا دليلٌ على عظيم منزلة العلم، لذلك قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]. فلا يخشى الله على الحقيقة وعلى الكمال إلا العلماء، وأما على القراءة الشاذة: (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماء)؛ فمعناه -وإن لم تصح التلاوة بها- أن الله لا يجل من أهل أرضه وسمواته إلا العلماء.

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٤١١٢).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ح (١٥٧٣).

فنسأل الله -جلَّ وعلا- أن نكون من الذين سلك الله بهم مسلك طلب العلم، أدبًا وعلمًا، وعملًا، وحلمًا، وزينة.

علم التفسير: هو علمٌ عظيم، وبحرٌ غزير، ومن أتقنه فقد أتقن نصف التفسير؛ لأن التفسير معناه ومبناه على أمرين:

الأول: معرفة أصوله، كيف تفسر القرآن؟ ما هي أصول التفسير؟ ما هي قواعد التفسير؟

الثاني: هو ما يتعلق بالمعاني وأسباب النزول.

إذًا أصول التفسير هو نصف العلم الذي به تعرف التفسير؛ لأن أصول التفسير تعلم طالب العلم كيف يفسر القرآن؟ كيف يفهم القرآن؟ كيف يبحر في تفسير آيات كلام الله ﷻ؟ وقد ألف في ذلك مؤلفات كثيرة مفردة ومستقلة؛ فمن أولى المؤلفات في أصول التفسير ما كتبه إمام المفسرين ابن جرير أبو جعفر بن جرير الطبري -رحمه الله- في مقدمة تفسيره، ثم زاد العلماء على ما كتب واستنبطوا قواعد وأصول ووضعوها في مؤلفاتٍ مستقلة، وأخرج شيخ الإسلام كما هو معلوم فتوى له وهي المشهورة بـــ (مقدمة التفسير)، ثم شرحها وزاد عليها ورتبها وهذبها العلامة ابن قاسم -رحمه الله تعالى-؛ وهو من أشهر تلامذة الإمام ابن إبراهيم -رحمه الله- مفتي الديار في عهد الملك

عبد العزيز، وفي عهد الملك سعود، وفي عهد الملك فيصل -رحمهم الله تعالى-.

والحقيقة أن كتاب كتاب أصول التفسير للإمام ابن قاسم مختصر ولكنه مفيدٌ لمن اعتبر، وهناك كتب مطولات في أصول التفسير، ولكن فيها الغث والسمين، ومن ذلك كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، وكتاب (الإتقان) للسيوطي، ولعل بعضكم قد اطلع على كتابنا الذي جمعناه مع شيخنا ووالدنا الشيخ/ عبيد بن عبد الله الجابري أبو عبدالعزيز في كتاب سميناه بـ (إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام من علوم القرآن)؛ فجمعنا من كل كتب شيخ الإسلام ما يتعلق بعلوم القرآن؛ كالمقدمة لمن يريد أو يروم تفسير القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للهِ الذي أنزَلَ الكتاب تِبيانًا لكل شيء وهدى للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله؛ الصَّادق الأَمين، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتَّابعين وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذه مقدمةٌ في التفسير تعين على فهم القرآن العظيم، الجدير بأن تصرف له الهمم؛ ففيه الهدى والنور، ومن أخذ به هدي إلى صراطٍ مستقيم.

افتتح المصنف -رحمه الله- هذه الرسالة بالبسملة، والبسملة تفتتح بها جميع الرسائل والمؤلفات والكتب والمصنفات؛ اقتداءً بالله ﷻ الذي افتتح كتابه بالبسملة، ثم الحمدلة، واقتداءً برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- الذي كان يرسل الرسائل، وكان يكتب في مقدمتها: (بسم الله الرحمن الرحيم)؛ فالبسملة لها موضعان:

الموضع الأول: عند الرسائل، والكتب، والمصنفات.

الموضع الثاني: عند ابتداء قراءة السورة، سواء الفاتحة أو غيرها، وما عدا ذلك من المواضع فليس فيها البسملة بل فيها التسمية، وهي قولنا: (بسم الله) فقط، هناك أكثر من ثلاثين موضع فيها التسمية وليس فيها البسملة.

(الذي أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء)؛ "ال" في كلمة الكتاب للعهد، والمقصود به الكتاب المعهود الذي أنزله الله إلينا، وليس المقصود به

اســتغراق الجنس، (**الحمد لله الذي أنزل الكتاب**)؛ أي: هذا الكتاب المنزل علينا وهو القرآن الكريم، حال كونه (**تبيانًا لكل شــيء**)؛ تبيان أنزل الكتاب تبيانـًا هذا حال، الكتاب منزل حال كونه تبيانـًا لكل شـيء فيه تبيان لكل شـيء ومعنى تبيان من البيان؛ وهو زيادة الإيضاح.

وقد يقول قائل: كيف يكون القرآن فيه تبيان كل شيء؟

هذا ســؤال كان يدور في ذهني وأنا في مقتبل العمر وربما يدور في ذهن الكثير من طلاب العلم، كيف يكون القرآن فيه تبيان كل شيء؟

الجواب: القرآن تبيان لكل شيء بطرق الاستدلال المختلفة، اكتبوا منها:

١- بدلالة المطابقة.

٢- بدلالة التضمن.

٣- بدلالة الالتزام.

إذًا هذه ثلاثة دلالات مســتفادة من ظاهر النص مطابقةً، وتضــمنًا، والتزامًا، وأيضًا ممكن أن نقول: إنه يدخل في هذا أيضًا:

- دلالة الموافقة.
- دلالة المخالفة.

فهذه خمس دلالات: (المطابقة، والتضمن، والالتزام، والموافقة، والمخالفة)؛ وكل واحدة من هذه تنقسم إلى عدة أقسام تصل إلى عشرين قسما تقريبًا ، فإذا نظرنا إلى آيات القرآن بنظرة شمولية، ندرك أنه ما من شيءٍ يحتاج إليه الإنسان في دينه إلا وهو موجودٌ في القرآن؛ إما صريحًا، وإما ضمنًا، إما مفهومًا، وإما منطوقًا، إما نصًا، وإما ظاهرًا، إلخ...، فهذا معنى: تبيانًا لكل شيء، ولهذا جاء عن ابن عباس كلمة جامعة عظيمة، قال -رحمه الله ورضي الله عنه-: "في القرآن كل شيء، ولكن قصرت عنه الأفهام"، لأن الله ﷻ قال: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]؛ ما دام قال: ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ إذًا هي كلية مطلقة في أمور الدين، إذًا لا يمكن أن يكون هناك أمرٌ دينيٌّ يخرج عن القرآن الكريم.

فإن قال قائل: فإنا نجد أشياء في السنة لا نجدها في القرآن.

نقول: كما قال ابن مسعود ﷺ لما قال لتلك المرأة: " لقد قرأت ما بين اللوحين، فلم أجد ما تقول"؛ لأنه كان يلعن النامصة والمتنمصة، والفالجة والمتفلجة، والواشمة والمستوشمة، فقالت هذه المرأة التي كانت حافظة لكتاب الله، وقارئة وتالية: "لقد قرأت ما بين اللوحين، ولم أجد ما تقول!"، يعني ما وجدت هذا اللعن، فقال ابن مسعودٍ ﷺ: "أما إنك لو قرأتيه لوجدتيه"، يعني قراءة تمعن، وتدبر، والاستدلال، "أما إنك لو قرأتيه

لوجدتيه، أوليس الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]؛ وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله!".[١]

إذًا لا بد أن نقول: ما من حكمٍ إلا والقرآن يدل عليه، هذه قاعدة عظيمة مضطردة، ولهذا قال أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله-شيخ الإسلام : ما استدل مستدلٌ بدليلٍ إلا وفي القرآن ما ينقضه، بل وفي نفس الآية ما ينقض قوله، ما من مبتدع يستدل بدليل على بدعته إلا وفي القرآن ما ينقض بدعته، بل وفي نفس الدليل ما يدل على بطلان بدعته، ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]؛ تأمل هذه الآية تجد مصداق ما قاله أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله-، ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

القرآن فيه تبيان لكل شيء، إذن هذه قاعدة مضطردة عندنا، لكل شيء وهذه الكلية كلية دينية، وليست فيها كلية هندسية، ولا فيها كلية طبية، لا، لكل شيء كليةٌ شرعيةٌ دينية.

(**وهدىً للمتقين**)؛ هذا الوصف جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

---

١ أخرجه البخاري ح (٤٨٨٦).

فإن قال قائل: هل القرآن هداية للناس، ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٩]؛ أم هو هدى للمتقين؟

نقول: نعم، هو هدى للناس، وفيه هداية كل شيء، ولكن كونه هدى للمتقين؛ فذلك لأن المتقين يدركون كمال الهداية من القرآن،طيب وغير المتقي؛ غير المتقي يأخذ من القرآن مايوافق هواه من أهل الإسلام، أما المتقي فيجد تمام هدايته في القرآن ، ولذلك لذة نفسه، وانشراحة صدره، وسلامة قلبه، وراحة باله، وحياة فكره في القرآن الكريم، لا يذهب لأي مكان إلا ومعه القرآن؛ تلاوةً، وتدبرًا، وتأملًا، واستدلالًا، هذا معنى هدىً للمتقيين، فهذه اللام **(للمتقين)**؛ لام العاقبة، أي: أن من اتبع هداه وصل إلى درجة التقوى، أو لام التخصيص، أي: أن المتقين هم الذين يدركون على وجه التمام هدايات القرآن الكريم.

ثم قال -رحمه الله-: **(وأشهد أن لا إله إلا الله)**؛ وهي التي تكون بعلمٍ، والشهادة لا تكون إلا بعلم، ويقين، ومحبة، وإخلاص، وصدق، وانقياد، وقبول؛ هذه معنى الشهادة، أينما وجدت كلمة الشهادة تأمل هذه المعاني السبعة، صح ولا لا؟ لما تقول أشهد عند القاضي ولا عند الناس لابد أن يكون بيقين وعلم وإخلاص وصدق ومحبة وانقياد وقبول.

(وأشهد أن لا إله إلا الله)؛ قلنا هذه الكلمة مبناها على ركنين: النفي، والإثبات، (لا إله) نفيٌ، و (إلا الله) إثباتٌ، والجملة مع النفي والإثبات هو

التوحيد، فلا توحيد بمجرد النفي؛ لأنه إلحاد، ولا توحيد بمجرد الإثبات؛ لأنه لا ينفي الشرك، أين التوحيد إذاً أن نجمع بين النفي والإثبات (**لا إله إلا الله**)؛ النتيجة الله هو المعبود بحق، ومن سواه فمعبود بباطل (**وأشهد أن لا إله إلا الله**)؛ والإله معناه المعبود، المألوه، المحبوب الذي يتوجه إليه بالعبادة على وجه القربة، والزلفى، والحب.

قال: (**الملك الحق المبين**)؛ الله -سبحانه وتعالى- ملكٌ ومالك، ملكٌ بمعنى: الحاكم، ومالكٌ بمعني: له الملك، وهو الحق، ومن أسمائه الحق، ومن أوصافه الحق، وكلامه الحق، ووعده الحق.

والحق معناه: الثابت المتقرر، لما تقول: الله الحق، أي: هو الثابت المتقرر الذي لا باطل فيه ولا زوال.

(**المبين**): أي: الواضح، فلا أوضح من أحقيته -جلَّ وعلا- في ألوهيته، وفي ملكه، وفي خلقه، ورزقه، وأفعاله -سبحانه وتعالى-، فإذا كان المخلوق يقول: أنا حق؛ لأني موجود، ولا يستطيع أن يثبت دليلًا على وجوده إلا صوتًا، أو لمسًا، أو حسًا، فإن الله ﷻ وجوده ثابتٌ بكل دليل، كما قال الشاعر الصادق:

وفي كل شيءٍ له آيةٌ * تدل على أنه الواحد**

بل إنه ما من مخلوقٍ إلا وهو آية من آيات الله الدالة عليه -سبحانه وتعالى-.

قال: (**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**)؛ المقصود: به هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام-، و أنت تشهد له بأنه عبد الله ورسوله، عبدٌ لا يعبد، كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في تفسيره: لشهادة أن محمدًا رسول الله، وفي تفسيره: للتحيات، قال: فهو عبدٌ لا يعبد، ورسولٌ لا يعصى، فتعاملنا مع النبي ﷺ بين الإجلال وبين العبودية، فنحن نعلم أنه عبدٌ لا يعبد، ولا يستحق العبادة؛ لأن الذي يعبد هو الخالق وليس المخلوق.

ورسولٌ يكرم ويجل، ويعظم، ويطاع أمره، ولا يعصى، (**الصادق الأمين**)؛ هذان الوصفان اتصف بهما النبي ﷺ قبل الإسلام؛ فالمشركون كانوا يلقبونه بالصادق وبالأمين. صادق؛ لأنهم ما جربوا عليه كذبًا، كما جاء في حديث ابي هريرة وغيره رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما نزلت عليه : {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤]، قام على الصفا، ونادى بأعلى صوته: «**يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ**» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، إذًا هم يعلمون أنه الصادق الأمين، كما قال الله ﷻ عنه أنه قال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾

[يونس:١٦]؛ وكما قال هرقل عظيم الروم، كما في صحيح البخاري في كتاب بدء الوحي من صحيحه، قال هرقل: "فهل جربتم عليه كذبًا قبل أن يقول ما قال؟"، أبو سفيان ما كان أسلم بعد،ماكذب فقال: ما جربنا عليه كذبًا، فقال هرقل: في آخر الحديث، ما كان ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله، فهو الصادق الأمين -صلوات ربي وسلامه عليه-، وهذا لقبٌ يجب علينا نحن أن نؤمن به أيضًا **صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.**

مر معنا معنى صلاة الله على العبد، ما معنى صلاة الله على العبد؟ ماذا قال أبو العالية الرياحي؟ تذكرون ولا نسيتم؟

أيوة..ثناء الله عليه في الملأ الأعلى، هكذا قال أبو العالية الرياحي كما في صحيح البخاري، صلاة الله على العبد ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، إذًا "صلى الله عليه"؛ كأننا نقول:يا ربنا،يا الله اثني على رسولك في الملأ الأعلى بطلبنا إياك، الله يثني على رسوله، لكن لما نحن نطلب نزداد عبودية عنده، وأيضًا نكون بذلك قد تقربنا إلى نبينا ﷺ.

(صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وسلم تسليمًا كثيرًا)؛ الآل قد يراد به الأتباع مطلقًا؛ وهو الصواب، والصحابة المقصود به من رأى النبي ﷺ مؤمنًا به، من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك، طيب..هذا من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الآل عام، والأصحاب خاص، فصار (وعلى آله وأصحابه)؛ صار من باب عطف الخاص على العام، (والتابعين)؛ وهم الذين رأوا الصحابة.

وعلى المعنى الآخر أن الآل المقصود به: هم الذين أسلموا من ذويه، وأول من يدخل فيه زوجاته، ونسائه، وبناته، وآل أبي طالب سواءً كان منهم آل عليٍ، أو آل عقيل، أو آل جعفر، بل والصحيح أن بنو المطلب، وبنو هلشم كلهم من الآل ممن أسلموا، فعلى هذا المعنى إذا قلنا: الآل هم الذين أسلموا من ذويه دون من لم يسلم كأبي لهب، الذين أسلموا من ذويه وأصحابه؛ فيكون من باب عطف العام على الخاص؛ لأنه الآل مثل العباس، وعلي، وفاطمة، وخديجة، وعائشة، وحفصة، وزينب، هؤلاء هم من آل النبي وهم الصحابة؛ إذًا يكون من باب عطف العام على الخاص، على كلا المعنيين صحيح.

قال: (**وسلم تسليمًا كثيرًا**)؛ لكن المعنى الأول هو الأشهر، أن الآل المقصود به هم أتباعه، للذين اتبعوه تديناً كما قال الله عز وجل ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]؛ كلنا نعلم أن زوجته مؤمنة، تقية، لا تدخل النار بنص القرآن ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:١١]؛ إذًا ما معنى آل فرعون؟ أتباعه الذين اتبعوه على كفره، وظلمه، وجبروته.

قال: (**وسلم تسليمًا كثيرًا**)؛ نجمع للنبي الكريم ﷺ بين الصلاة والسلام ما وجه الجمع؟ الصلاة طلب من الله، والسلام تبليغٌ لرسول الله، فنحن لما نقول: اللهم صل وسلم على رسولنا، فنطلب من الله أن يثني على رسوله، ونطلب من الله أن يبلغ رسولنا سلامنا، وهذا من فضل الله علينا أن الله هيئ ملائكةً سيارين، يطوفون إذا وجدوا حلقة علم مثل هذه الحلقة، ولله الحمد والمنة، يأتون ويجلسون في بيوت الله،

«إن لله ملائكةً سياحين –وفي رواية: سيارين– يبلغونني عن أمتي السلام»، فاللهم صل وسلم عليه، فأنت لما تقول: اللهم صل وسلم، لماذا تقدم الصلاة بين يدي السلام؟ لأنه أدعى للقبول، طلبت من الله أن يثني على رسوله، ثم طلبت منه أن يبلغه سلامك؛ لأنك أنت ما تستطيع أن تبلغ النبي سلامك؛ لأنه في عالم البرزخ وأنت في عالم الدنيا.

(وسلم تسليمًا كثيرًا)؛ وهل الأفضل أن تكون الصلاة هذه بصيغة الطلب ها! "صلِّ اللهم وسلم"؟ هل الأفضل أن يكون بصيغة الطلب، أو بصيغة الماضي؟ اختلف العلماء في ذلك، جاء هذا وهذا، فنحن نقول في التشهد: اللهم صل وسلم، اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد هذا طلب؛ لأن الأمر من الأدنى للأعلى، من العبد للرب هو طلب، طيب.. لما نمر بالحديث، نقول: قال رسول الله ﷺ هذا ماضي خبر، والماضي بمعنى الخبر، والخبر هو أيضًا بمعنى الطلب، وإن كان اللفظ خبرًا لكن المعنى طلب، فأيهما أبلغ؟ اختلف العلماء في ذلك، والصواب: لأنه ينبغي في الصلاة والسلام لإتباع اللفظ، فأينما جاء الطلب فأتِ بالطلب، وأينما لم يأت فيه الطلب فالأمر فيه ولسع؛ سواءٌ قلته بصيغة الطلب، أو قلته بصيغة الخبر، فهو بمعنى الطلب، فلو قال إنسان وهو يقرأ الحديث، لو قال الإنسان: قال رسول الله، اللهم صل وسلم عليه، ما في بأس، قال رسول الله ﷺ ما في بأس؛ لأن الكل بمعنى الطلب.

قال: (وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد..)؛ هذه الجملة دائمًا يؤتى بها لبيان أن ما بعد كلمة أما بعد مغايرٌ لما قبله؛ لأن ما قبله افتتاحية، وما بعده موضوع الحديث.

فقال: (**فهذه مقدمةٌ في التفسير تعين على فهم القرآن العظيم**)؛ كما ذكرت لكم أن أصول التفسير نصف التفسير، فمن فهم هذه الأصول، فإنه يفهم القرآن العظيم بطريقة سلسةٍ يسيرةٍ بإذن الله تعالى.

قال: (**الجدير بأن تصرف له الهمم**)؛ مع الأسف اليوم قلة من طلاب العلم من يهتم بأصول التفسير وبالتفسير، ونسأل الله -جلَّ وعلا- أن يحيينا على الخير والبركة، فإن شاء الله ﷻ لا يمر علينا عام إلا ونقرأ تفسيراً في كتاب الله ﷻ، ونحاول أن نطبق هذه القواعد في التفسير؛ ففيه الهدى والنور، ومن أخذ به هدي إلى صراطٍ مستقيم.

وأذكر لكم قصة أن شيخنا أبو زكريا -رحمه الله- الشيخ/ عبد السلام الرستمي، جاء مرةً للعمرة، وكان ساكنًا في بيته في المدينة -رحمه الله- فأخذته إلى الحرم، وكان من عادته -رحمه الله- إذا جاء إلى الحرم بعد صلاة المغرب يحب أن يجلس في درسٍ من الدروس، وأحيانًا يكون في الصف الأول إذا وجد مكان، ونجلس حوله ونسأله، ففي يومٍ من الأيام وكان يحب أن يجلس إلى درس شيخنا، الشيخ/ عبد المحسن. في يوم من الأيام اللي كان عندي ما جاء الشيخ عبد المحسن، فقلت له: يا شيخ الشيخ عبد المحسن لن يكون موجودًا اليوم بعد المغرب، فقال لي: لنبحث في المسجد النبوي عن درسٍ في التفسير، فبحثنا وهو يمشي معي على كبر سنه الهوينا، حتى مررنا على ما يقرب من عشرة حلقات، تأملوا معي عشرة حلقات في مسجد النبي ﷺ ما وجدنا درسًا في التفسير، فصار الشيخ يبكي، يقول: سبحان الله أين اهتمام الناس بالقرآن! يهتمون بكلام الناس في الفقه، يهتمون بكلام الناس في الأصول، يهتمون بكلام الناس في اللغة، وهكذا يعد الدروس اللي سألنا عنها، ولم يجد درسًا في التفسير، قال في اليوم

الفلاني في درس في التفسير، فبكى الشيخ –رحمه الله–، وكان هذا أثر علي كثير جدًا، فينبغي علينا أن نهتم بدروس التفسير؛ لأنه رسالة التي يسألون الله عنها: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]؛ قال جمعٌ من المفسرين: مسئولون عن المنزل عن القرآن، ومن أخذ به هدي الى صراطٍ مستقيم لأن الله قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]؛ و﴿هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]؛ وهو الصراط المستقيم.

أحسن الله إليكم.. قال –رحمه الله تعالى–: تنزيل القرآن:

أجمعوا على أنَّ القرآن كلام الله حقيقة منزلٌ غير مخلوق، سمعه جبريل من الله، وسمعه محمدٌ ﷺ من جبريل، وسمعه الصحابة من محمدٍ ﷺ، وهو الذي نتلوه بألسنتنا، وفيما بين الدفتين، وما في صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا وكل حرف منه، كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

قال: وبدعوا من قال: إنه فاض على نفس النبي ﷺ، من العقل الفعال، أو غيره كالفلاسفة والصابئية، أو أنه مخلوقٌ في جسمٍ من الأجسام كالمعتزلة والجهمية، أو في جبريل، أو محمدٍ، أو جسمٍ آخر غيرهما، كالكلابية والأشعرية، أو إنه حروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ أزليةٌ كالكلامية، أو إنه حادثٌ قائمٌ بذات الله، ممتنعٌ في الأزل، كالهاشمية والكرامية ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ فجهمي، أو غير مخلوقٍ فمبتدع.

هذه المسألة وهي مسألة تنزيل القرآن فيها مسألة إجماعية عند السلف، ومن اتبعهم من الخلف، فقد أجمع الصحابة والتابعون، وتابعوهم بإحسان على أن القرآن كلام

الله حقيقة، ومعنى: (**كلام الله حقيقة**)؛ معني حقيقة، أي: أنه صفةٌ من صفاته –تبارك وتعالى–، وليست هذه الإضافة كلام الله إضافة مجازية كما يقوله المجازيون، بل هي إضافةٌ وصفية، كلام الله، مثل علم الله –أحفظ هذه المسألة– كلام الله من علم الله، فلما أنت تقول: كلام الله أضفت الكلام إلى الله، ولما تقول: كلام الله من علم الله إذًا علم الله مضاف، مضاف إليه، فهما من بابٍ واحد، علم الله صفةٌ من صفاته، فكلام الله صفةٌ من صفاته، حياة الله صفةٌ من صفاته، سمع الله، بصر الله، قدرة الله، قوة الله، إذًا لابد أن ندرك أن هذه الإضافة هي من إضافة الوصفية إلى الموصوف، من إضافة الصفة إلى الموصوف.

كلام الله حقيقي، كما قال الإمام ابن خزيمة –رحمه الله– في كتاب (التوحيد) قال: فلما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] قال: خياه، أو ذواه بالجلال والإكرام؛ فعلمنا أن الجلال والإكرام وصفان للوجه، فدل على أن الوجه حقيقة، فهذه الصفات المضافة إلى الله –تبارك وتعالى– يجب أن نثبتها.

قال: (**منزلٌ غير مخلوق**)؛ وهذه أيضًا من المسائل الإجماعية، أجمع أهل السنة والجماعة أن القرآن منزل. ودليل إنزاله؛ القرآن نفسه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣]، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف:١]؛ إذًا القرآن منزلٌ من عند الله ﷻ، وهو غير مخلوق؛ لأن الذي أنزل هو جبريل، حمل كلام الله ﷻ، وهو من علم الله

سبحانه، ونزل به، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]؛ فالقرآن منزلٌ من الله، نزل به جبريل عليه السلام.

(سمعه جبريل من الله)؛ ولم يأخذه جبريل من اللوح المحفوظ، ولم يأخذه جبريل من بيت العزة، وإنما كان يسمع الكلام من الله، فينزل به إلى رسول الله ﷺ. (سمعه جبريل من الله)؛ ودليل سمعه من الله قوله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]؛ فالملائكة تفزع حينما تسمع صوت صلصلة الجرس، الذي هو إذانٌ بكلام الله ﷻ فيصعقون؛ إلا جبريل يسمع كلام الرب -تبارك وتعالى-، فيفيقون، ويقولون: ماذا قال الحق؟ فيقول لهم جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير.

ومما يؤكد أن جبريل سمع القرآن من الله؛ أن الله قال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل:١٠٢]؛ من وين؟ كملوا الآية، من بيت العزة، ولا من اللوح المحفوظ؟ من ربك: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل:١٠٢]؛ ومما يؤكد هذا المعنى قوله -جلَّ وعلا-: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة:٨٠]؛ ما قال: من بيت العزة من السماء الدنيا، قال: ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة:٨٠]؛ ولا قال: من لوحٍ محفوظ، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

إذًا لابد للمسلم أن يعتقد أن القرآن سمعه جبريل من الله، بصوت الله ﷻ، وقد ذكر البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه أن الله يتكلم بصوت، كما قال النبي ﷺ:

«فينادي بصوتٍ: يا آدم، يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب»[1]، وهذا وصفٌ لكلام الله ﷻ، وجبريل عليه السلام الذي أكرمه الله بسماع الكلام من الله أنزل القرآن، ونزل بالقرآن، وبما سمع إلى النبي الكريم ﷺ، (وسمعه محمدٌ ﷺ من جبريل)؛ بصوت جبريل، الكلام كلام الرب، وسمعه النبي ﷺ من العبد للذي هو جبريل بصوت جبريل.

لذلك قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:١٠]؛ فيه تفسيران:

الأول: فأوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى.

والثاني: وهو الأقرب فأوحى الله إلى عبده محمدٍ ﷺ ما أوحى، وهذه في ليلة الإسراء ألغيت الواسطة.

قال: (وسمعه الصحابة من محمدٍ ﷺ)؛ بصوت النبي الكريم ﷺ، فالقرآن كلام الله، ونحن سمعنا القرآن بأصوات القراء والمشايخ، وحفظنا القرآن بأصوات القراء والمشايخ، والقرآن كلام الله، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]؛ طيب.. هذا المستجير يسمع كلام الله ممن؟ من للذي أجاره، وهو عبد فدل على أن الكلام كلام الرب، وإن سمعه المستجير بصوت العبد، فهذا شيءٌ آخر، القرآن كلام الله ﷻ حيثما تصرف، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وإذا أشكل عليك هذا تذكر أمرين:

---

(١) صحيح البخاري ح (٤٤٥٦)، ومسلم ح (٣٣٦٥).

الأول: لو جاءنا إنسان، وقال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»(١)، وقال لكم: هذا كلامي تقبلون ولا ما تقبلون؟ لماذا لا تقبلون؟ لأن هذا كلام النبي ﷺ، يقول لكم: أنا قلته بصوتي، تقول: نعم هو كلام النبي، أنت قلته بصوتك، فلا يصح أن يقال هذا كلام فلان وفلان لمجرد أن الصوت صار له، لو جاء إنسان وقال: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل، قال: هذا بيت شعر مني أنا، تقبلون كلامه؟ ما تقبلون كلامه، ولا كلام مجنون ليلى اللي قال:

لمر على الديار ديار ليلى * وأقبل ذا الجدار وذا الجدار**

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديار**

جاء وقال ترى انا اللي قال الشعر هذا، تقبلون كلامه؟ ما تقبلون كلامه، ليش؟ لأنه ما هو اللي قائل، هو نقله إلينا بصوته بس، فنقل الكلام لا يعني أن الكلام صار للمتنقل، وإن كان يجوز أحيانًا إسناد الكلام إليه باعتبار نقله فقط، ولذلك القرآن أسند إلى جبريل في سورة التكوير، وأسند إلى النبي ﷺ في سورة الحاقة، وهذا الإسناد في هذين الموضعين إسناد بلاغ، قال الله ﷻ في سورة التكوير: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:١٥-١٩]؛ وهو جبريل باتفاق المفسرين، ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:٢٠-٢٢].

---

(١) صحيح البخاري ح (٢١٥٨)، ومسلم ح (١٥٢٠).

إذًا لماذا نسب القول إليه؟ لأنه يبلغ، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:١٩]؛ ومن كرمه، ومن أمانته، ومن قوته لا يزيد في الرسالة ولا ينقص؛ إذًا يبلغ كما يسمع. ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٠-٢٧]؛ وقال ﷻ في نسبة القرآن إلى النبي ﷺ نسبة البلاغ قال: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٣٨-٤٠]؛ يعني محمد ﷺ باتفاق المفسرين، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة:٤١-٤٢]، إذًا نسب القول إليه، ثم نفى أن يكون شعرًا من عنده، أو نثرًا من عنده. ما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن، إذًا من أين جاءه من نفسه؟ لا، قال: ما هو بقول كاهن، من سحره؟ لا ما هو بساحر، من أين؟ قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة:٤٣].

إذًا القرآن كلام الله، كونه أضيف إلى الرسول جبريل الملكي، أو إلى الرسول محمد ﷺ الإنسي إضافة بلاغ؛ وإلا فهو كلام الله. كما نحن نقول: قال أبو هريرة ﷺ، ثم نذكر الحديث، ثم نقول: ورفعه إلى النبي ﷺ، لو قال لنا قائل: قال عمر بن الخطاب: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى»**[1]، وسكت ما نقبل هذا الكلام، نقول: كمل قال عمر بن الخطاب: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى»**[2]،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الحديث، ثم قال: سمعته من نبيكم ﷺ، إذًا كان القول بلاغًا، نسب إليه بلاغًا، لماذا قلنا: قال عمر؟ بلاغًا، وإلا الكلام كلام النبي الكريم ﷺ.

ولهذا أيها الإخوة لا نطيل في هذه المسألة، لكن أذكر لكم قصة من أبي طالب المشكداني وكان من خواص طلاب الإمام أحمد بن حنبل، كان يدخل على الإمام أحمد وله منزلة عنده، فقال: قلت يا أبا عبد الله إن في نفسي شيئًا من الكلام، من لغط الناس، وكثرة كلامهم، وخوضهم فيه، قال: فقال لي الإمام أحمد: أأنت مخلوقٌ، قال: قلت نعم، قال: فكلامك؟ قال: لا يكون إلا مخلوقًا، قال: الله مخلوق؟ قال: قلت لا، قال: فكلامه لا يكون مخلوقًا، بس انتهت القضية، أحفظ هذا المثال ترتاح في البال، نحن مخلوقون، علمنا مخلوق، حياتنا مخلوقة، كل صفاتنا مخلوقة، الله ليس بمخلوق، إذًا ليس شيءٌ من صفاته مخلوقه بس، أحفظ القاعدة ترتاح، ما فيها قيل ولا فيها قال.

قال –رحمه الله تعالى–: **(وهو الذي نتلوه بألسنتنا، وفيما بين الدفتين)**؛ الدفتين الوقايتين من المصحف، الوقاية يعني الدفة اليمنى هذه تسمى دفة المصحف، الوقاية اللي تحفظ الأوراق من اليمين ومن الشمال هذه تسمى الدفة، يقول: **(وهو الذي نتلوه بألسنتنا وفيما بين الدفتين، وما في صدورنا، مسموعًا، ومكتوبًا، ومحفوظًا)**؛ إذًا هو كلام الله أينما تضعه فهو كلام الله، تحفظه هو كلام الله، تقرأه هو كلام الله، تكتبه هو كلام الله، تسمعه هو كلام الله، إذا أخطأت يقال: أخطأ القارئ، ولا يقال: أخطأ كلام الله، كلام الله هو المنزل، هذه عقيدة عند أهل السنة والجماعة ولا خلاف فيها، وقد نقلت الآثار على ذلك الإمام الطبري اللالكائي –رحمه الله– هبة الله، أبو الحسن،

هبة الله الطبري اللالكائي في كتابه (شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة)، نقل مئات المئات من الناس الذين نقلوا هذا الكلام إجماعًا.

(وكل حرف منه، كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود)؛ أيها الإخوة أنا لا أريد أن ندخل في تفصيلات الفلاسفة، ولكن علينا أن نضبط الأمر، نضبط الأمر. لو قال لنا قائل: أنت موجود، والله موجود؟ نقول: نعم، لكن وجودنا حادثٌ، ووجود الله أزليٌ، فرقٌ بين الوجودين، وإن كان هذا يسمى وجودًا، وهذا يسمى وجودًا، يقال: العبد حيٌ والرب حيٌ، وليس الحياة كالحياة، يقال: العبد ملكٌ؛ فلان من الناس ملك، والرب ملكٌ، وليس الملك كالملك -انتبه لهذه المسألة العظيمة!- قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف:٥٤]؛ الله سماه ملك، وسمى بعض عباده عزيزًا، ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٥١]؛ فوصف بعض عباده بأنه غفورٌ رحيم، ووصف نفسه بالملك، وبالعزيز، وبالغفور، وبالرحيم، وليس الملك كالملك، ولا العزيز كالعزيز، ولا الغفور كالغفور، ولا الرحيم كالرحيم. إذًا انتبه وأحفظ هذه القاعدة: أن الاشتراك في مطلق الاسمية لا يلزم منه التساوي، أنت حي الرب حي لا يلزم التساوي، أنت موجود الله موجود لا يلزم التساوي، وجودك حادث ووجود الله أزليٌ أبدي، فكذلك فافهم الكلام.

أنت حينما تتكلم في كلامك بالباء والتاء، الثاء، وتقول: باب بيتنا مفتوحٌ، وبابنا مع جارنا مصدود، فهذه الحروف وكلامك كله مخلوق؛ لأنك مخلوق، فالباء في كلامك مخلوق، ولكن إذا قلت قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١]؛ الكلام كله ليس بمخلوق؛ لأنه كلام الخالق -جلَّ وعلا-، وهذه الحروف الموجودة في كلام الله

ﷻ من كلامه –سبحانه وتعالى–، فما دام من كلامه فلا يكون مخلوقًا، وقد تنازع الناس قديمًا في أحرف الهجاء، هل هي مخلوقة، أو لا؟ والصواب: ما ذكره شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية –رحمه الله–، أن هذه سفسطة، والصواب أن يقال: إن حروف الهجاء التي يتكلم بها الجبار –جلَّ جلاله– ليست مخلوقة، وأما حروف الهجاء التي يتكلم بها المخلوقين فهي مخلوقة؛ لأنها من صنع كلامهم.

قال: (**وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف**)؛ لابد أن نعتقد هذا، أن كلام الله اللي الموجود بين الدفتين مشتمل على أمرين:

مشتمل على حروف، ثم هذه الأحرف كلمات، وهذه الكلمات جمل، وهذه الجمل مقاطع، وهذه المقاطع مشتملة على صور، في صور، وهذه الصور موجودة في كلام الله ﷻ هذا من حيث الحروف، ثم هذه تدل على المعاني. إذًا كلام الله الحروف والمعاني الموجودة بين دفتيه، لابد أن نعتقد هذا الاعتقاد، ليس الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

ثم بين –رحمه الله– العقائد الباطلة في هذا الباب، فقال: (**وبدعوا من قال**)؛ قد يقول قائل: ما علاقة هذا بأصول التفسير؟ أيها الإخوة أقول لكم قولًا: من لم يعتقد هذا الكلام للذي قلناه أن القرآن كلام الله غير مخلوق، نزل به جبريل عليه السلام على محمدٍ ﷺ لن يعطي كلام الله حقه، فسيأتي في تفسيره بما ينقص قدره. ولهذا أول سلم في باب التفسير أن تعلم أن هذا الكلام الموجود هو كلام الله للملك الحق المبين، إذا

اعتقدت هذا الاعتقاد تعرف كيف تقرأ، وللذي لا يعتقد هذا الاعتقاد، كيف سيفسر؟!

أنا أقول لكم كيف سيفسر: يفتح القرآن ولا أجد غضاضة من تسميته، مثل رجل معروف مشهورها من مكتبةٍ وإلا وتفسيره موجودٌ في هذه المكتبات، وللناس يعظمونه ويجلونه وهو الزمخشري، لما جاء عند قوله تعالى من سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]؛ لف ودار، لف ودار، لف ودار بعد ستة أسطر قال: وما ثم قبضٌ، وما ثم بسطٌ، وما ثم سمواتٌ، ولا ثم يمينٌ، كل ذلك كنايةٌ عن عظمة الله! يعني هذا كله كذب، هذا معنى الكلام! ليش تلف وتدور علينا؟يا أخي قول لنا من الأول هذا الكلام غير صحيح، مثلما يقوله الكفار اللي يقولونما في لا قبض، ولا في بسط، ولا في قيامة، وخلاص ريحنا! ليش تلف وتدورليا أخي بجيب الضغط والسكر للإنسان هذول أهل البدع، والله العظيم لف ودوران تسود نص صفحة كلام وكلام وكلام وفي الأخير تقول الكلام هذا!

نفس الكلام نفس الفعل سواه وين؟ عند قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]؛ يا أخي الكلام صريح ما يمكن أن يحتمل معنىً آخر، كلام صريح مثل الشمس، إذا لم يكن هذا الكلام صريحًا، فأي الكلام سيكون صريحًا! كيف سنفهم للناس إذا لم يكن هذا الكلام مفهومًا، يلف ويدور، يلف ويدور يريد أن يقول: ليس الله يتكلم، فالأخير قال: ولا يبعد أن يكون الله جرح قلب موسى ففهم المراد، شي شوف؟! بأي لغة!

ـلنلك أيها الإخوةـهذه المقدمة عظيمة،ـهذه المقدمة أن الإنســـانـللذي يقدم على تفســـير كتاب الله يدرك أن القرآن كلام الله، ولذلك أهل الســـنة والجماعة بدعوا، نعم بدعوا من المســـائل التي بدعوا فيها المخالف، هذه المســـائل من يأتي ويقول: إن القرآنـفاض على النفس على نفس النبي ﷺ، شـــو يعنيـفاض على نفس النبي ﷺ؟ يعني لا يوجد للرب كلام، ولا يوجد جبريل، ولا يوجد شـــيء، كل اللي انتوا تقولونه خيال، هذا كلام من؟ هذا كلام ابن رشد الحفيد، هذا كلام ابن رشد الحفيد الفيلسوف، وكلام ابن الفارض، وكلام ابن سبعين من الفلاسفة يقولون: بالفيض ما معنى الفيض؟ الفيض هو زكاء النفس وقوة قابليتها، وقوة تأثيرها؛ فيتخيل أشـــياء لا وجودـها، لا يســـتطيع غيره أنـيأتي بمثلهـما يوجد هناك كلام للرب، ولا يوجد جبريل، ولا يوجد تنزيل، ولا شـــيءـلنلكـهذا القول كفر، مو بسـتبديع، من يقول: إن القرآنـفاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال، –هكذا مثلوا– كما تفيض أشعة الشمس من الشمس، فينعكس على الأماكن الشفافة كالمياه، ولا ترى أنت الأشـــعة هذه المجردة بالعين، ما لم يكن هناك انعكاس، فكذلك ضـــعفت قوى الناس النفســـانية، فلم تنعكس في نفوســـهم، ولو قويت نفوســـهم لانعكســـت على نفوسهم، كما انعكست على نفوس الأنبياء والمرسلين.

كلام خطير، كلام حقيقةٌـما فيها رب يتكلم، إنما خرج الكلام منهـبدون إرادة – عياذًا بالله–، وهذه من أقوال الفلاسفة الشنيعة، يقولون: إن الكلام فاض على نفس النبي من العقل الفعال، من العقل الفعال؟ يعنونـبه الرب، والعقل الفعال عند الفلاسفة اسمٌ اخترعوه لله ﷻ من عند أنفسهم، وزعموا أن العقل الفعال ليس له

فعلٌ، ولا إرادةٌ، ولا كلام.ـماـهذا الربـلذي يعبدونه؟ ليسـله فعلٌ، وليسـله إرادةٌ، وليس له كلامٌ! إذًا ماذا تعبدون؟ خلاص خليكم ملاحدة، وقولوا: ما في رب وريحونا، ليش اللف وللدوران ـهذا كله؟ـهذا كلام الفلاسـفة ممن انتسـبوا إلى الإسـلام، وسميت لكم بعضـهم، حتى يقول إن ابن سـبعين كان يذهب إلى غار حراء، ويتحنث وينتظر لصـفاء نفسـه أن تنعكس عليه مثل ما انعكس على النبي ﷺ، أعوذ ـبالله من الخذلان، نعوذـبالله من الخذلان، طبعًاـهذا الكلام وهو القولـبالفيض هو كلام الصابئة المعظمين للشمس، والمعظمين للأفلاك.

قال: (**أو إنه مخلوقٌ في جسـمٍ من الأجسـام**)؛ هذا القول من أقوال المبتدعة الجهمية، والمعتزلة، فجهم بن صـفوان التـرمذي، الجهم بن صـفوان التـرمذي وهو منـبقليا المجوس الذين أظهروا الإسـلام، وأرادوا هدم الإسـلام بلسـم الدين والتدين، انتبهوا! والله لا نخاف من الذي يحارب الإسـلام ظاهرًا، وإنما نخشى على الإسـلام ممن ينتسـب إليه ويريدـهدمه، يعني ـمثلـما تقول للعلمة اليوم: فلانـملخذـللدين سـلم يصـل لأغراضـه الدنيوية، هذا الجهم بن صـفوان وأمثاله، ماذا يقول الجهم بن صـفوان والمعتزلة؟ ـمثل للقاضـي عبد الجبار المعتزلي وغيره وغيرهـماذا يقولون عن القرآن؟ يقولون: مخلوقٌ في جسـمٍ من الأجسـام، إذًا ليس كلام الله عندهم، معنى لما يقول مخلوق يعني مثلك أنت، طيب يرد عليهم سؤال: الآن كلامنا الذي نقوله مخلوق لله، أو ليس مخلوق لله؟ إنـقالوا: ليس مخلوق لله كفروا، وإنـقالوا: مخلوق لله، إذًاـما الفرق بين كلامنا المخلوق لله، وبينـهذا الموجود بينـللدفتين المخلوق لله عندكمـما الفرق؟ـقالوا: ـهذا مخلوقٌ شـريف، والكلام ـللذي ـلنت تقولـه مخلوقٌـقد يكون

شـريف، وقد لا يكون شـريف، ومنهم من زعم أن كلامنا ليس مخلوق لله، كما هو تناقض المعتزلة، ومر معنا هذا في العقيدة الواسطية وشرحناه.

إذًا أيها الإخوة القول بأن القرآن كلام الله مخلوقٌ في جسـم، هذا كلام كما قال الإمام المروزي عبد الله بن المبارك يقول -رحمه الله-: إنا نحكي كلام اليهود والنصارى، ونستحي أن نحكي كلام هؤلاء المعتزلة والجهمية، ليش؟ لأن اليهود والنصارى يقولون: أن الله يتكلم، هم يقولون أن الله يتكلم، لكن كفرهم وشركهم ما هو في هذا للباب في أبواب أخرى، لكن هؤلاء ماذا يقولون؟ هؤلاء يقولون: الشجرة هي التي قالت لموسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤]؛ يا الله، الله! أيش لون موسى عليه السلام شجرة تقول له: يا موسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤]؛ شافوا إن هذه شوية شنيعة وفظيعة، بعضهم قال: لا مو الشجرة، موسى مو سمع الكلام من الشجرة، سمع ممن؟ قال: سمع من الهواء، يعني الهواء هي التي قللت لموسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤]؛ كلام ابن المبارك متين يا إخوان، أيش لون إنسان يقول أن هذا القرآن مخلوق؟ المخلوق أيش لون يقول: يا موسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤]؛ أيش لون؟ ما يمكن! أيش لون المخلوق يقول للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [طه:١١٦]؛ والملائكة يطيعون المخلوق ويسجدون لآدم يا الله، شلون، فهمونا! تلعبون بعقول الناس بشوية فلسفة ومنطق تعلمتموه، هذا حال هذول الناس، يتعلمون شوية منطق، شوية فلسفة، شوية بلاغة، شوية فصاحة، ويجون ويتمنطقون على المسلمين

بمثل هذا الكلام للذي لا يقبله أطفال المسلمين لو تمعنوا فيه بعيدًا عن الفلسفة والمنطق، إذًا هذا القول من أشد الأقوال الضالة بعد القول الأول.

القول الثالث: قال: **(أو في جبريل، أو محمدٍ، أو جسمٍ آخر غيرهما؛ كالكلابية والأشعرية)**؛ هذا القول شنيع أيضًا، هم يقولون: أن هذا القرآن كلام الله مخلوقٌ لله، خلقه الله في جبريل، طيب أيش لون جبريل يقول لمحمد ﷺ الآيات التي فيها الإلوهية، أيش لون؟ أيش لون جبريل يقول لموسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه:١٤]؛ أيش لون محمد ﷺ يقول للناس: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه:١٤]؛ أيش لون؟ هذا ما يمكن يا إخوان، الإنسان الذي يفكر يعلم أن هذا كلام من أبطل ما يكون، ولهذا أيها الإخوة الكلام لا يمكن إلا أحد أمرين:

- إما أنه مخلوقٌ لله.
- أو كلامٌ صفةٌ لله.

فإن قلت: صفةٌ لله سلمت من كل المشكلات، إن قلت: مخلوق لله ترتب عليك كل المشكلات، كل المعضلات ما تعرف كيف تتجاوب، شلون المخلوق يقول للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [طه:١١٦]؛ وهم يقولون: حاضرين، شلون المخلوق يقول لنا نحن أهل الإسلام أمة محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ﴾ [المائدة:٢]؛ من هو المخلوق هذا اللي نطيعه! مانبي نطيعه، مخلوق مانبي نطيعه، نحن نطيع الله، إن كان الله يخاطبنا فنطيعه، إن كان عبد ومخلوق يخاطبنا فلا نطيعه، إن قال: أنتم تطيعون النبي ﷺ نقول: نعم نطيع النبي؛ لأن الله أمرنا بطاعته، فإذا لم يكن الله هو الذي خاطب وأمرنا بطاعته؛ فمن هذا الذي أمرنا وخاطبنا بطاعة النبي، من؟ جبريل،

نحن ملزمين بطلعة جبريل، وين ملزمين إحنا بطلعة جبريل؟ وين ملزمين إحنا بطلعة مخلوق من مخلوقات الله؟ نحن ملزمون بطلعة النبي ﷺ؛ لأن الله أمرنا بطاعته، فإذا لم يكن الله تكلم، إذا لم يكن الله أمر، إذا لم يكن الله نهى، من للذي يأمرنا وينهلنا؟ بل ومن الذي يقضي بين العباد يوم القيامة، ويفصل، ويخاطب، من؟

يا إخوان القول هذا لا تحسبوه هين ترى، هذا قول خطير، بعض الناس يقول يا أخي هذه قضية مرت، لا ما هي مرت، هذه قضية عليها مدار التوحيد، والسنة، والبدعة إلى قيام الساعة، إلى اليوم يوجد ناس هناك يعيشون في الغرب، من هناك يبثون سمومهم عبر القنوات والتلفزيونات يقولون: القرآن مو كلام الله، القرآن مخلوق، إلى الآن، ولن تموت هذه القضية ما دام إبليس حيًا لن تموت هذه القضية؛ لأن إبليس همه الأكبر أن يدخل الناس في الشرك، لم يستطع، همه الأكبر أن ينزع من قلوب الناس عظمة القرآن، كيف ينزع من قلوب الناس عظمة القرآن؟ ما في طريقة إلا أن يقول لهم: هذا ليس كلام الله، هذا الطريق الوحيد، وهذا أمر خطير أيها الإخوة للملك الكلابية أتباع أبي محمد بن عبد الله بن سعيد بن كلاب، وكان في عهد الإمام أحمد هو الذي ابتدع الكلام النفسي، يقول: إن الله له كلامٌ نفسي، أما هذا القرآن فهو لفظ جبريل، أو حكاية جبريل عن الله، أو عبارة جبريل عن الله، ومنهم من قال: هو عبارة محمد ﷺ عن الله، يعني الله ما يقدر يتكلم فجاء واحد عبر عن الله، عياذًا بالله! الأخرس هو للذي لا يتكلم، ولا يقدر على الكلام، ويحتاج من يعبر عنه، أما الله الذي لا يعجزه شيء، القادر على كل شيء، تكلم فما الذي يمنعه من الكلام؟ قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]؛ لو

كان الله ما يتكلم كان قومك قالوا: ولَنت ربك ما يتكلم، ولا لا يا إخوان؟ فدل على أنه لله قال لهم: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]؛ دل على أن ربه ينطق ويتكلم، لذلك الله -سبحانه وتعالى- قال عن نفسه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]؛ ومن أحسن من الله قولًا، إذًا الله -جلَّ وعلا- هو الذي يتكلم.

قال: القول الرابع، عفوًا (**كالكلابية والأشعرية**)؛ الأشعرية المقصود بهم أتباع أبي الحسن علي بن الحسن الأشعري -رحمه الله- في طوره الثاني، وأما أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- فهو إمامٌ من أئمة السنة، قد رجع إلى السنة، ويدل على رجوعه إلى السنة -رحمه الله- يدل على الرجوع إلى السنة كتابه العظيم: (الإبانة عن أصول الديانة)، وهذا من آخر ما ألف -رحمه الله- لما ورد بغداد. أبو الحسن الأشعري مر بثلاثة أطوار، كان على عقيدة زوج أمه أبي علي الجبائي المعتزلي، فلما بلغ الأربعين حصلت مناظرة بين الجبائي وبين رجلٍ من أتباع ابن كلاب، فعلم أبو الحسن الأشعري فظاعة قول المعتزلة، فترك قولهم، فصار على قول الكلابية الذي يتمسك به الأشاعرة اليوم، وليتهم تمسكوا بهذا فحسب ومن جرفوا إلى المعتزلة، ثم بعد ذلك لما ورد الإمام أبو الحسن إلى بغداد، والتقى بتلامذة الإمام أحمد رجع عن كل عقيدةٍ إلا عقيدة أهل السنة والجماعة، وخلع جبةً كانت عليه في خطبة الجمعة، وقال: أيها الناس إني أنزع عما كنت أعتقد كما أنزع من جبتي هذه، ونزعها وألقاها إلى الناس، ثم نزل فألف كتابه (الإبانة عن أصول الديانة).

وكذلك من مؤلفاته العظيمة: (مقالات الإسلاميين)؛ ففيها بيان عقيدة أهل الحديث، ولكن الناس اليوم مع الأسف اتبعوا أبو الحسن الأشعري وانتسبوا إليه؛ لأنه

مشهور، فاشتهرت هذه العقيدة التي فيها مخالفات عظيمة، وضلالات لأهل السنة والجماعة، مخالفة لأهل السنة والجماعة باسمه، وهو بريءٌ من ذلك، ومن أشهر أعيان هذا المذهب أبو المعالي الملقب بإمام الحرمين الجويني، والغزالي، وابن فورك، والسبكي وأمثالهم، كذلك هذا القول هو قول الماتريدية، أتباع أبي منصور الماتريدي.

قال -رحمه الله-: (**وإنه حروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ أزليةٌ كالكلامية**)؛ هذا القول الرابع، القول الرابع قومٌ انتسبوا إلى علم الكلام، وكان على هذا القاضي أبو يعلى وغيره قبل أن يرجعوا إلى عقيدة أهل السنة والجملعة، يعتقدون أن الكلام، وأن الحروف والأصوات قديمة أزلية، أما أهل السنة والجماعة فهم يفرقون أيها الإخوة بين الأمرين، لابد أن نفرق بين الأمرين؛ الكلام من حيث الصفة للرحمن؛ فالله متكلمٌ أزلًا وأبدًا، فهذه صفة ذات، بمعنى يجب أن تعتقد أنه ما جاء وقت لم يكن ربك متكلمًا، ولا يجيء وقت لا يكون ربك متكلمًا، هذا شأن المخلوق، المخلوق يكون في أول حياته لا يتكلم، ثم يتعلم الكلام، ثم إذا كبر ربما لا يستطيع أن يتكلم، أما الرب ﷻ فموصوفٌ بالكلام أزلًا وأبدًا، وقس قلنا الكلام من علم الله، إذًا الله علمه أزليٌ وأبدي، إذًا هو موصوفٌ بالكلام أزلًا وأبدًا، هذا من حيث الوصف.

أما من حيث آحاد كلامه، متى تكلم مع الملائكة في خلق آدم؟ في وقتٍ معين، متى تكلم في توبته لآدم؟ في وقتٍ معين، متى تكلم مع نوح؟ في وقتٍ معين، متى تكلم مع إبراهيم؟ في وقتٍ معين، متى تكلم مع موسى عليه السلام؟ في وقت معين، متى تكلم مع عيسى؟ في وقتٍ معين، متى تكلم مع محمد ﷺ؟ في وقتٍ معين، هذا الكلام للذي كان في وقتٍ معين؛ أهل السنة لا يقولون أنه أزليٌ وأبدي، وإنما يقولون: تكلم الله

بكلامٍ حادثٍ جديد، كما قال الله ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]؛ محدث يعني جديد وليس مخلوق كما يقوله المتقولون على الله،فالله لا يكون صفةٌ من صفاته مخلوقة، وهؤلاء زعموا أن الحروف، والأصوات، وكلام الله كله أزليٌ، يعني أزلًا قال الله لآدم: إني جاعلك في الأرض خليفة، أزلًا قال الله لموسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه:١٤]؛ طيب: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]؛ وين هذا الكلام؟ قال: هذا حصل أزلًا، طيب.. واللي حصل في حياة موسى عليه السلام؟ تناقض، ما يمكن، لهذا –أيها الإخوة– من علامات البدعة لزوم التناقض، ومن علامات السنة اضطراد القول.

قال –رحمه الله–: (**أو إنه حادثٌ قائمٌ بذات الله، ممتنعٌ في الأزل؛ كالهاشمية والكرامية**)؛ يعني: هذا قول الهاشمية أتباع هشام بن الحكم الرافضي، والكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني أبو عبد الله؛ هؤلاء زعموا أن الله لم يكن متكلمًا، لم يكن متكلمًا أزلًا، وإنما تكلم في وقتٍ معين، ولم يكن متكلمًا أزلًا، هم لو قالوا: إن الله تكلم بهذا القرآن في وقتٍ معين ما كان فيه إشكال، الإشكال في قولهم أنهم زعموا أن الله لم يكن متكلمٌ أزلًا، أهل السنة يقولون: الله متكلمٌ أزلًا وأبدًا، آحاد كلامه في وقتٍ معين،لأنهم يقولون: الله لم يكن متكلمًا أزلًا، وإنما تكلم في وقتٍ معين،هذه بدعتهم.

ثم قال –رحمه الله–: (**ومن قال**)؛ أي: هذا كله معطوف على كلمة (**بدعوا**).

وبدعوا (**من قال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ**)؛ الآن حينما يقرأ الإنسان القرآن: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]؛ حصل الآن أمران –انتبه الآن!– لما يقول الإنسان: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]؛ حصل في أسماعنا أمران:

- سماع كلام الله.
- وسماع صوت القارئ.

فبعض الجهمية اتخذوا هذا السبيل طريقًا للوصول إلى القول بأن القرآن مخلوق، قال: ما دام سمعناه بصوت فلان، وصوت فلان مخلوق، إذًا القرآن مخلوق، فقالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وهذا كذب؛ لأن الذي هو مخلوق حينما نسمع: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]؛ نقول: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]؛ كلام الله، وكلام الله ليس بمخلوق، صوت القارئ هو المخلوق، حركات القارئ هي المخلوقة، فعل القارئ هو المخلوق، والمقروء كلام الله ﷻ. حينما نرى القرآن مكتوبًا في المصاحف، فنقول: هذا خطٌ معوجٌ، هذا خطٌ مستقيمٌ، هذا خطٌ واضحٌ، هذا خطٌ جليٌّ، فهذا وصفٌ للخط، والخط هو فعل الكاتب، وأما المكتوب فهو كلام الله ﷻ كتبه معوجًا، كتبه مستقيمًا هو كلام الله –سبحانه وتعالى–، كتبه واضحًا، كتبه صغيرًا هو كلام الله ﷻ، ما في إشكال عندنا، لذلك الذي يقول: (**لفظي بالقرآن مخلوق، فجهميٌّ**)؛ كما نقل عن الإمام أحمد –رحمه الله–؛ لأنهم أرادوا التوصل إلى هذا.

(**أو غير مخلوق فمبتدع**)؛ طيب.. من قال، سألناه قلنا: ماذا تقول في لفظك بالقرآن؟ قال: مخلوق قلنا: جهمي، قال: غير مخلوق قلنا: مبتدع، إذًا ما للذي نقوله؟ نقول

أحد أمرين، انتبه الآن! عندنا قولان، الخامس، –واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، ست– عفواً السادس والسابع، ماذا تقول في ألفاظنا بالقرآن؟ إن قال: مخلوق فهو جهمي، إن قال: غير مخلوق فهو مبتدع.

السابع: إذًا ماذا يقول أهل السنة والجماعة؟ يقول أمرين:

الأول: أن يسكت عن هذه المسألة؛ لأن السلف لم يخوضوا فيها، يقولون: القرآن كلام الله حيثما تصرف وخلاص، هذا القول الأول.

أو أن يقول بالتفصيل، فيقول: ما سمعناه من كلام الله ليس بمخلوق، وصوت العبد مخلوقٌ، ماذا نقول؟ ما حفظناه من كلام الله ليس بمخلوق، وأما فعل العبد فمخلوق، ما كتبناه من كلام الله كلام الله ليس بمخلوق، ومدادنا وأوراقنا مخلوقة، إذًا نفصل ونفرق بين فعل العبد وبين كلام الرب –جلَّ وعلا– في القرآن الكريم، ولهذا الإمام البخاري –رحمه الله– فصل هذا القول تفصيلًا بينًا في كتابه: (خلق أفعال العباد)، في كتابه العظيم (خلق أفعال العباد). نعم.

قال –رحمه الله تعالى–: مواضع نزوله: أجمعوا على أن القرآن مائةٌ وأربع عشرة سورة، والمشهور: سبعٌ وعشرون مدني، وباقيه مكي، واستثني آيات، ومنه: النهاري، والليلي والصيفي، والشتائي، وأولها أُنزل: اقرأ، ثم للدثر، وآخره: المائدة، وبراءة، والفتح، وآية الكلالة، والربا، والدين.

(مواضع نزوله)؛ هذه المسألة، أو هذا الباب مهم بالنسبة لمن يروم تفسير القرآن، وهو أن يدرك رؤوس المسائل هذه من حيث العموم.

أولًا: **(أجمعوا على أن القرآن مائةٌ وأربع عشرة سورة)**؛ هذا لا خلاف فيه، بالإجماع القرآن أربع عشرة بعد المائة من السور، أربع عشرة ومائة سورة عدد سور القرآن بالإجماع، وأن ثلاث عشرة ومائة سورة فيها البسملة، وبراءة ليس فيها البسملة، وأن النمل فيها البسملة مرتين، هذه مسائل إجماعية. لكن اختلفوا في عد الآيات بحسب القراءات، لم يختلفوا في الـــــــ (ن) من القرآن، (ق) من القرآن، وإنما اختلفوا هل نعدها آية، أو تبعٌ لما بعدها؟ (يس) من القرآن، (طه) من القرآن، (حم) من القرآن، لم يختلفوا في هذا، لكن اختلفوا هل نعدها آية، أو نجعلها تابعة لما بعدها، إذًا الخلاف للعد مبنيٌّ على أيش؟ على علم للقراءات، مبنيٌ على ماذا؟ علم القراءات.

فمثلًا عد الكوفيين يختلف للعد فيه عن عد غيرهم، ولكن المشهور الآن الموجود عندنا في المصاحف، الموجود في مصاحفنا الآن عد الآيات، ترقيم الآيات الموجود في مصاحفنا الطبعة هذه، والطبعات المشهورة اليوم، هذه الطبعات الموجودة في مصاحفنا هذه كلها على عد الكوفيين، وآياتها ستة آلاف ومائتين وستة وثلاثين آية بعد الكوفيين، ستة آلاف ومائتين وستة وثلاثين آية بعد الكوفيين، وأما من يزيد وينقص فهذا بحسب قراءته، والقراءات لا تنكر.

(والمشهور سبعٌ وعشرون مدنيٌّ)؛ أجمعوا أن القرآن منه ما هو مدنيٌّ، ومنه ما هو مكي هذا فيه إجماع، ما هو للمدني؟ وما هو المكي؟ اختلفوا في تعريف للمدني والمكي، لكن الأفضل والأشهر هو اعتبار الزمان لا اعتبار المكان، في تعريف المدني والمكي الأفضل والأشهر هو اعتبار الزمان لا المكان، فيقال: ما قبل الهجرة فهو مكيٌّ،

وإن نزل في الطائف، وما بعد الهجرة مدنيٌّ وإن نزل في مكة، واضح؟ هذا التعريف أحسن، وهو الاعتبار الزمانِ.

(والمشهور سبعٌ وعشرون مدنيٌّ، وباقيه مكيٌّ، ولستثني آيات)؛ ما الفائدة من معرفة المكي والمدني؟

أولًا: نقول ما علامات الآيات والسور المكية، أحفظ هذه؛ لأنك بالتأمل يمكن أن تعرف، هل هذه الآية مكية أو مدنية، أولًا الآيات للمدنية فيها الأحكام، والآيات المكية فيها الأخبار، يعني الآيات للمدنية فيها افعل لا تفعل، الآيات المكية فيها الإخبار.

ثانيًا: الآيات المدنية طويلة، والآيات المكية قصيرة، ولذلك صور المفصل أكثرها وجلها مكية.

ثالثًا: الآيات التي فيها التوحيد والتقرير عن الشرك أكثرها وجلها مكيٌّ؛ لأنه قد تقرر في قلوب الصحابة التوحيد.

ورابعًا: الآيات للمدنية فيها الخطاب بـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [المائدة:١٠٦]؛ وأما الآيات المكية ففيها الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [الأعراف:١٥٨]؛ وليس هذا مضطردًا وإنما قاعدة أغلبية.

هناك فروقات أخرى ذكرها العلماء -رحمهم الله تعالى- ما الفائدة من معرفة المكي والمدني؟ الفائدة عدة أمور:

الأول: معرفة التدرج في التشريع.

الثاني: معرفة أسباب النزول، هذه لما تقول نزلت في مكة: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]؛ إذًا غير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]؛ ها! ما يجيء واحد عايش في بلاد أوروبا مستضعف، ويطبق هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]؛ الإنسان الذي يعرف المكي والمدني يعرف كيف يطبق هذه الآيات.

الثالث: أنه يعرف المراد من الآية إذا عرف المكي والمدني.

الرابع: يعرف النسخ من المنسوخ؛ لأن اللاحق يكون ناسخًا للسابق، والعكس كما سيأتي معنا في باب النسخ.

قال: **(ومنه: النهاري، والليلي والصيفي، والشتائي)**؛ القرآن الكريم آياته من حيث النزول، بعضها نزلت في النهار، وبعضها نزلت في الليل، هذه الآيات التي نزلت في الليل قليلة، ولها أحكام، والآيات التي نزلت في النهار هو الأكثر، ثم بعض هذه الآيات نزلت في الصيف، وبعضها نزلت في الشتاء، وهل يترتب على ذلك أحكام؟ مثلًا قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١]؛ علمنا أن غزوة تبوك كانت في الصيف، وإلا ما قال: ﴿لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة:٨١]؛ صح ولا لا؟ هذا دليل مؤكد أنهم كانوا في الصيف، وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم قال عمر: ما سألت النبي ﷺ عن شيءٍ سؤالي إياه عن الكلالة، حتى ضرب على صدري، وقال: «**يا ابن الخطاب يكفيك آية الصيف التي في آخر**

النساء»[1]، آية شو نو نسمى؟ الصيف؛ لأنها نزلت في الصيف، ما الفائدة من معرفة النهار، والليل، والصيف، والشتاء؟ الفائدة معرفة الأحوال المحيطة بسبب النزول لمعرفة المراد.

يعني مثلًا: لو جاء إنسان، وقال: آية التيمم نزلت في الشتاء، آية التيمم نزلت في الشتاء، يمكن واحد يقول يتفلسف يقول: معناه التيمم يجوز في الشتاء بس، ليش؟ لأن الآية نزلت في الشتاء، نقول: لا يا حبيبي غلط أصلًا، الآية ما نزلت في الشتاء، الآية نزلت في الصيف، خلاص الآن قطعنا عليه شنو؟ الاستدلال، ولا لا؟ فهذه معرفة الأحوال المحيطة بنزول شنو؟ الآيات هذه مهمة جدًا.

قال: **(وأول ما أُنزل: اقرأ، ثم المدثر)**؛ طبعًا أول ما أنزل أقرأ هذا هو المشهور المعروف، وفيه حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في الصحيحين: أن النبي ﷺ كان يتعبد في غار حراء، وأول ما نزل عليه اقرأ، قال: **«ما أنا بقارئ»**[2]، أو خمس آيات من سورة أيش؟ اقرأ أول خمس آيات، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥]؛ هذا هو المعروف، ولكن في حديث جابر في صحيح البخاري ومسلم، أن جابر رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: **«أول ما أنزل علي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١]»**[3]؛ فأشكل على بعض الناس ذلك، والصواب: أن ما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب

---

(١) صحيح البخاري ح (٢٣٥٩)، ومسلم ح (١٦٠٣).

(٢) صحيح البخاري ح (٦٠٨٢)، ومسلم ح (٤٤٢٨).

-رحمه الله-: نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر؛ لأن اقرأ فيه الإنباء والإخبار، والمدثر فيه الأمر: ﴿قُمْ فَأَنذِر﴾ [المدثر:٢]؛ إذًا نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر، هذا واضح وجلي، أول ما أنزل اقرأ من حيث الإنباء، ثم المدثر من حيث الإنذار والرسالة، وهذا جمعٌ لطيف بين الحديثين، حديث عائشة وحديث جابر -رضي الله تعالى عنهما-.

قال: (**وآخره: المائدة، وبراءة، والفتح، وآية الكلالة، والربا، والدين**)؛ كم قول صاروا؟ ستة أقوال، يعني في الآخرية ستة أقوال، والأشهر أنها آخر آيةٍ من آيات الربا، ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١]؛ هذا هو الراجح، هذه الآخرية يصح أن نسميها بالآخرية المطلقة، طيب.. والآخريات الأخرى؟ آخرياتٌ نسبية، فآية المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]؛ هذه آخريةٌ في الأخبار والأحكام، أن الأخبار والأحكام قد تمت خلاص، إذًا ما في حكم بعد ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]؛ ما في حلال وحرام خلاص انتهى، الحلال والحرام بعد ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]؛ ما نزل فيه شيء.

وأما براءة فنقول إن براءة هي آخر سورةٍ أنزلت كاملةً، آخر سورةٍ أنزلت هي سورة براءة، وأما الفتح فهي آخر سورةٍ نزلت في حق النبي ﷺ، وكان بعد مقدمه من فتح مكة يقولون.

قال: (**وآية الكلالة**)؛ آخر آيةٍ نزلت في المواريث ها!، اللي هي آخر آية من سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ

فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء:١٧٦]؛ الآية، إذًا هذه آخر آية من آيات المواريث هذا معناه.

وأما الربا، فقلنا: إن الربا هي آخر آيةٍ نزلت على الإطلاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨]؛ إلى آخره، وآخرها: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ [البقرة:٢٨١]؛ وأما القول بأنها آخر آياتٍ نزلت هي آية الدين؛ فهذا قولٌ مرجوح، والله تعالى أعلم. نعم.

ما الفائدة من معرفة الآخريات؟ معرفة المتقدم من المتأخر؛ لترتيب الأحكام، ولمعرفة الناسخ والمنسوخ. نعم.

قال -رحمه الله تعالى-: إنزاله: أنزل القرآن جملةً في ليلة القدر إلى بيت العزة في السماء للدنيا، وأنزل منجمًا بحسب الوقائع؛ يلقيه جبريل إلى النبي ﷺ في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه، ويأتيه في مثل صورة الرجل يكلمه، وثبت أنه أنزل على سبعة أحرفٍ، قيل: المعاني المتفقة بألفاظٍ مختلفة؛ كهلم وأقبل.

كمل..

وكتب في الرقاع وغيرها في عهد النبوة، ثم في الصحف في عهد أبي بكر، ثم جمع عثمان للناس على مصحفٍ واحد، والجمهور: أنه مشتملٌ على ما يحتمله رسمها ومتضمنتها العرضة الأخيرة، وترتيب الآيات بالنص، والسور بالاجتهاد.

قال: (إنزاله)؛ قال: (أنزل القرآن جملةً في ليلة القدر، إلى بيت العزة في السماء الدنيا)؛ هذا الإنزال -أيها الإخوة- هو إنزال تشريفٍ وتكريم لأهل ملائكة السماء حتى يتعبد

الله ﷻ بالقرآن؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٣-١٦]؛ فالله ﷻ أنزل القرآن جملةً واحدة من بيت العزة، وهذا الإنزال إنزال نسخٍ؛ فنسخ القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، فوضع منه نسخةٌ في بيت العزة، وصار في أيدي الملائكة الكرام البررة، كما قال ﷻ: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٩]؛ والكتاب المكنون هنا اللوح المحفوظ، ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩]؛ دل على أن ملائكة اللوح المحفوظ يمسون المصحف هناك، وهم على أكمل وجهٍ وأطهره، وأن الموجود في السماء الدنيا عند الملائكة الكرام البررة: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس:١٣-١٤].

(وأنزل منجمًا بحسب الوقائع)؛ أنزل منجمًا ما هو معناه أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ -مر معنا هذا-، إنما أنزله جبريل من الله إلى النبي ﷺ، ولم يكن جبريل يأخذ من الآيات ما يشاء، ويترل إلى رسول الله كما يريد، وإنما يسمع من الله ما يريده الله، فيترل جبريل إلى النبي ﷺ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وأما الأحاديث الواردة في هذا الباب أن القرآن أنزل من بيت العزة على النبي ﷺ فهذه كلها ضعيفة، وقد جمعتها في كتابي: (المسائل العقدية المتعلقة بالقرآن الكريم)؛ وهو موجود في المجلد الأول منه، وتعرضت إلى كثير من هذه الأحاديث التي يستدل بها من يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال: **(يلقيهِ جبريل، إلى النبي ﷺ)**؛ هذا تكتب أمامه: كيفية إنزال القرآن إلى النبي ﷺ، كيف يأتيك الوحي يا رسول الله؟ هذا سؤال، هذا سؤال طرح على النبي ﷺ كما في صحيح البخاري، فقال ﷺ: **«يأتيني أحيانًا مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي»**[1]، الجرس الصوت الذي يحرك به الحديدة ويسمع الإنسان صوت، كأن معناه في شيء سيأتي، فالنبي ﷺ يسمع صوت صلصلة الجرس؛ فيعلم أن جبريل سيأتي الآن وينزل عليه بالقرآن.

(وهو أشده علي)؛ وجاء في حديث عائشة: "فيفصم عنه، وإن العرق لينزل منه مثل الجمان، في اليوم الشاتِ شديد البرد"، إذًا هذا أشده على النبي ﷺ؛ لأنه يأتيه الملك وهو لا يراه، وإنما يسمع منه، ويعرف قراءته، والناس حول النبي ﷺ لا يسمعون، وهو يسمع، ويجعله في قلب النبي ﷺ كما قال الله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٤]؛ وأن ينزل على قلب النبي ﷺ.

قال: **(ويأتيه في مثل صورة الرجل يكلمه)**؛ وهذا هل ورد في حق القرآن؟ هذا فيه نظر، الصواب: أن جبريل حينما يأتي على صورة رجل يأتيه بالأحاديث، وأما القرآن فكله وأكثره على قلب النبي ﷺ؛ بدلالة نص القرآن ثم بدلالة الواقع، فلم يثبت واقعيًا أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل، وقال له: اسمع مني آياتٍ أنزلت الآن، وإنما كان يأتيه على صورة رجل، ويسأله، ويكلمه، ويبلغه بعض الأحاديث.

---

(١) صحيح البخاري ح (٥٧١٢)، ومسلم ح (٤١٥٣).

قال: (**وثبت أنه أنزل على سبعة أحرف**)؛ وهذا الحديث؛ حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف حديثٌ متواتر، حديث أيش؟ متواتر، رواه جمعٌ من الصحابة أكثر من عشرة، أكثر من عشرة من الصحابة رووا حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف؛ منهم عمر، وابن مسعود، وعثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وأبو هريرة، وأنس، وجابر، وغيرهم فهؤلاء كلهم رووا أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، ما معنى الأحرف؟ اختلف العلماء في معنى الأحرف، والصحيح أن المقصود بها لهجات العرب، سواءً في نطقهم للكلمة، أو في تعبيرهم عن المراد، نطقهم للكلمة مثل عليهِم عليهُم، فبعض العرب تجعل ضمير الجمع بالكسر عليهِم، وبعضهم تقول عليهُم، وعلى هذا جاءت القراءة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]؛ و: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهُمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]؛ ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهُمْ﴾ [الفاتحة:٧]؛ جاءت فيه قراءتان، هذه لهجة وهذه لهجة.

ويمكن أن يكون –انتبه الآن!– المقصود بالأحرف هو ما يعبر به كل قومٍ عن المعنى بلغته، مثل: هلم وأقبل، هلم وأقبل الحروف مختلفة، لكن المعاني واحدة، كما قال أبو هريرة ﷺ قال: والله ما سمعت بالسكين إلا يومئذٍ، قال: فما كنتم تسمونه أنتم؟ أنت عربي ما سمعت بالسكين إلا عند النبي ﷺ، وأيش كنتم تسمون السكين؟ قال: ما كنا نسميها إلا المدية اصطلاح، سموها مدية سموها سكين المراد واحد، فإذًا المراد بالأحرف نطق الكلمات المتغايرة، وأيضًا التعبير عن المعاني المختلفة، فأذن الشارع في أن يتكلم العرب بالقرآن بلهجاتهم؛ لأنه كان كما قال النبي ﷺ لما أنزل القرآن على حرفٍ واحد، قال: «**أي ربي إن أمتي لا تطيق ذلك**»، فأشار ميكائيل على النبي ﷺ أن يسأل

جبريل التخفيف، فطلب جبريل من الله فرفع جبريل طلب النبي ﷺ إلى الله، فخفف عنه حتى وصل إلى سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ.

طيب.. إذا كانت هذه الأحرف المترلة هي في النطق بالكلمات والمعاني المتفقة بألفاظٍ مختلفة؛ هنا يأتي سؤال: هل الموجود الآن –انتبه الآن!– هل الموجود الآن هو كل الأحرف السبعة، أو بعض الأحرف السبعة؟ سيأتي –إن شاء الله– بيانه.

قال: (**وكتب في الرقاع وغيرها في عهد النبوة**)؛ إذًا القرآن كان مكتوب في عهد النبي ﷺ؟ نعم، كان مكتوب، بل كان النبي ﷺ له كتبة يسمون بكتبة الوحي، ومن أشهر هؤلاء الكتبة: زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وعمر ﷺ، وعلي ﷺ، وعثمان ﷺ وغيرهم، وكانوا يكتبون الآيات من القرآن في الرقاع وهي التي تكون قابلة للكتابة من القطع من القماش، أو من اللخاف، أو من العظام، ربما يكتبون على قطعة خشب، وربما يكتبون على قطعة قماش، وربما يكتبون على قطعة جلد، وربما يكتبون على عظمةٍ طاهرة، إذًا يكتبون على ما يتيسر لهم؛ لأنهم ما كانوا يعرفون الكاغد اللي هو الورق، ما كانوا يعرفونه.

(**وكتب في الرقاع وغيرها في عهد النبوة**)؛ بأمر من النبي الكريم ﷺ كانوا يكتبون، وكان النبي ﷺ في أول الأمر في مقدمه المدينة نهى الصحابة عن كتابة غير القرآن، فكانوا لا يكتبون إلا القرآن، وبعد عام الفتح أذن لبعض الصحابة بأن يكتبوا عنه الأحاديث أيضًا، فصاروا يجمعون، فكان الصحابة الذين قبل فتح مكة لا يكتبون إلا القرآن، أو بعض القراءات بجوار القرآن، أو بعض التفاسير بجوار القرآن، ولم يكن كلام النبي ﷺ مكتوبًا مع القرآن البتة، ثم لما... قد يقول قائل: لماذا لم يجمع النبي ﷺ

القرآن في مكانٍ واحد؟ لأن الجمع غير ممكن مع كون الزمن زمن نزول الوحي، وقابلية النسخ، فلما مات انتفت هذه العلية، فجمع الصديق ﷺ المصحف، جمع القرآن في مصحفٍ واحد، خلاص جمع في مصحفٍ واحد.

لكن جمع أبو بكر القرآن في مصحفٍ واحد أولًا لم يكن مرتبًا، جمع في مكان واحد بين الدفتين، لكن لم يكن مرتبًا، جمعه الصديق ﷺ القرآن لم يكن مرتبًا كما في عهد عثمان، لا السور ولا الآيات، كل الآيات كتبوها وجمعوها، كل السور كتبوها وحطوها بدون ترتيب، أما جمع عثمان ﷺ الناس على مصحفٍ واحد، ماذا تضمن؟ تضمن جمع عثمان أمرين:

الأول: ترتيب الآيات؛ يعني ترتيب الآيات في السور.

والثاني: ترتيب سور القرآن.

وتضمن جمع عثمان ﷺ أنه أمر الكاتب أن يكتب القرآن بلغة قريش؛ بلغة أيش؟ بلغة قريش؛ لأن القرآن أول ما نزل، نزل بلغة من؟ النبي، والنبي ﷺ من قريش فجعل العبرة بلغة قريش، فما احتملته لغة قريش من الكلمات، ومن القراءات كتبت، ولذلك أنت تجد أنهم مثلًا كتبوا: (مالك) (م ل ك)، حطوا فوق الميم ألف، تقرأها على القراءتين: مالك وملك، (عليهم) ما حطوا شيء يحتمل عليهِم عليهُم، ما في ضمة ولا في تشكيل في زمانهم، واضح؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦]؛ و(فتثبتوا)؛ لأنه ما حطوا نقاط، فيحتمل القراءتين صح ولا لا؟ إذًا ما احتملته القراءتين والثلاث، والأربع، والخمس أثبتوه، وما لم تحتمله لغة قريش ألغوه، وهذا اتفاق منهم ﷺ.

قال: **(والجمهور)**؛ أي: هذا قول الجمهور **(أنه مشتملٌ على ما يحتمله رسمها ومتضمنتها العرضة الأخيرة)**؛ نعم.. العرضة الأخيرة ما كان في العرضة الأخيرة من القراءات، وما كان في العرضة الأخيرة من الناسخ والمنسوخ، هو الذي أثبته الصحابة من هذا القرآن، في هذا المصحف الذي قال الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]؛ فما ليس في هذا المصحف ويسمى قرآنًا، فهو أحد أمرين:

- إما منسوخٌ –انتبه!– ليس مذكورٌ في العرضة الأخيرة.
- وإما أنه من القراءات المتروكة، ما ليس في المصحف.

قال: **(وترتيب الآيات بالنص)**؛ كيف يعني بالنص؟ يعني كان النبي ﷺ يقول لهم: "اكتبوا آية كذا قبل آية كذا، وبعد آية كذا"، وهذا بالإجماع أن ترتيب الآيات بالنص، يعني البقرة ترتيب آياتها هكذا مائتين وستة وثمانين آية كلها مرتبة بنص كلام النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ما في خلاف بين العلماء، واضح؟ طيب.. وترتيب السور؟ الصحيح، قال: **(السور بالاجتهاد)**؛ فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن السور نصية؛ لقوله ﷺ: «**اقرءوا الزهراوين؛ البقرة وآل عمران**»[1]، رتب ولا ما رتب؟ وفي حديث ابن مسعود: فقرأ البقرة، وآل عمران، والنساء، مرتب ولا غير مرتب؟ مرتب.

القول الثاني: أنه باجتهاد، أنه بالاجتهاد.

القول الثالث: وهو الصواب، أن ترتيب السور بعضه نصيٌّ وبعضه اجتهاديٌّ، وما كان منه اجتهاديًا فقد أجمع الصحابة عليه في عهد عثمان بحضورٍ من عليٍّ، وطلحة، والزبير وأجلة الصحابة –رضوان الله عليهم– ولم ينكروا شيء، فدل على أن هذا الإجماع، هذا إجماعٌ والإجماع مترلٌ مترلة النص، فليس لأحدٍ أن يغير موضع سورةٍ من القرآن بعد إجماع الصحابة، هو كان اجتهاد منهم؟ بعضه نعم، اجتهاد منهم، لكن حصل عليه الإجماع؟ نعم حصل عليه الإجماع، إذًا ليس لأحدٍ أن يزيد، أو ينقص.

نكتفي بهذا –إن شاء الله تعالى–، والملتقى السبت القادم نكمل أسباب النزول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح البخاري ح (٧٦٦)، ومسلم ح (٥٥٧).